صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢١٠ الموافق في صفر ١٤٢٠ هجري ٦ / ١٩٩٩ ميلادي

الطهو البشري : وأد على قيد الحياة	بقلم : سها عبد الحميد

بلى سيدتي المرأة .. أنت الوعاء الإنساني الذي تُطهن به الوجبات البشرية.. أنت مربية الإنسان الذي يحمل الأمانة في الأرض .. وأي وعاء أنت .. وعاء من لحم ودم يعاني من الاشتعال ما يعاني ويذوب من الاحتراق لتنضج به مواد الإنسان الأولية .. ولتتحملين بعدها ما تهتز منه الجبال من ثقل مسؤولية التربية التي ننتظر ثمارها على أحر من الجمر ..

سيدتي .. إن رحلتنا معاً إلى عالم التربية المنشودة تتطلب منا أن نتأكد من جهة الاتجاه قبل أن نبحر ولا بد لنا من وقفات إنسانية نعبر من خلالها روعة التجارب التي دونها التاريخ .. ونستريح من أحضان الأحداث .. أحداث الماضي البعيد لتنير لنا ضباب المستقبل القريب

وكلنا ثقة بأننا نحن النساء نشكل عصب الدعوة الأكيد ومنطلق الثورة الأصيل وسنزيل عن عالم المرأة النقاب الذي أخفى الكثير من معالم إنسانيتها ، وماهية حقائقها

وسر إبداعها

ودورها الأصيل منذ بدأ العالم رحلته في الحياة إلى يومنا هذا .. فحتى اليوم لا يزال الظلم يجلد بسياطه البشرية سيرة حواء أم الأحياء .. ويمتد ليعم كل حواء إلى يومنا هذا .

ورواية سمية تقص علينا أن لحظة ضعف رق لها قلب أبيها وهبتها الحياة .. وقد مسك يدها الغضة ومضى بها ليدفنها في الخفاء تحت التراب ويريح كاهله من ثقل العار .. وهو الذكر الذي أنجبت له أنثاه أنثى

كانت تضغط على يده وتمضي معه برضى لا يمكن أن يخطر لباله أنه القاتل الذي منحه العرف وباركت له العادات والتقاليد هذه الجريمة الغبية .. ناسياً أو متناسياً أنه لولا الأنثى التي أنجبته ما كان ليكون

وكانت المباغتة المأساة قاسية على طفولتها للغاية جعلتها تستغيث مذعورة من الشبح الأسود القابع في باطن الأرض ينتظر أن يلتهمها بنهم .

ورغم مسامع الجاهلية الصماء استجاب لتوسلاتها وغلبت إنسانيته غياب عقله ، وارتد عن جبروته وعاد بها إلى أمها الملوعة كذكر مهزوم .

ودخلت سمية إلى عالم الأحياء من جديد ليترك شخصها بصمات أكيدة على صفحات التاريخ

ولتكون معايشتها للإعتداء على حقها في الحياة مفتاح اعتناقها لرحمة الإيمان ، ورحلت وهي مصرة على الحياة كأول شهيدة في الإسلام

وها هي قضية سمية تطرح على ساحة الأذهان من جديد لأن العالم تصور أننا انتهينا من زمن الظلم الجبار واسترحنا من وأد البنات

لكن هذا الوأد وإن كان قد مضى وانقضى كدفن في أعماق التراب لكنه حيٌّ في عقول الكثير من الرجال والنساء كوأد فكري هاجع يستيقظ بين الحين والآخر في صدر كل غليظ متكبر ، كوأد قلبي ينبض في عروق كثير من الآباء والأزواج ليتعدى نبض الأمهات والزوجات .

كان الوأد الماضي ينتهي في لحظات

لكن الوأد الحاضر زمنه أطول

وتعذيبه أعمق

وخطره أعنف

ونحن ندير ظهورنا ونغمض أعيننا وكأننا لا نرى الموؤدات اللواتي يعشن بيننا بحجة أنهن على قيد الحياة .

لنستمر في الحديث عن مشكلات العالم الإسلامي

علام لا نضع يدنا على الجرح ونعترف بأن مشكلتنا الأولى مشكلة تربوية

بدل أن نخرج من أحاديثنا التي تنسى عامل الزمن وننتهي بعشرات إشارات الاستفهام وأيدينا مرفوعة بالدعاء

وعيوننا شاهقة تنتظر الحلول أن تهبط من السماء وننسى أو نتناسى أن الوجع كامن في الجذور

إن نكهة الوأد بماضيها البعيد لا زال يحس بكنهها آلاف الناس وهم يتجرعون ماء الحياة .

وأبلغ من يدافع عن الحق المأسور صاحب الحق المأسور

والرجل ليس متهماً أبداً .. فالرجل ابن المرأة

وأنت المسؤولة الأولى في أن تُعدّي العدة لبداية جديدة .. نقية من هذه الشوائب العالقة على جدران تربيتنا على مدار الأيام .

عندها فقط سنسترد عافيتنا من جديد

فرعاية الجذور الرعاية المحبة ، وزرعها في المناخ النقي

يحتاج إلى أرض معطاء تحتويها بحب
لتورق الأغصان وتزهر عوالمنا بأمثال صانعات التاريخ ومربيات العظماء .
سيدتي المرأة .. لا بد أن تعرفي من أنت وحتى تعرفي تماماً من تكونين
يجب أن تعرفي كيف كنت .
لقد حررك الإسلام من ظلمة الوأد بكل أنواعه
ومن عتمة الضعف والخمول والعبودية بكل صورها
فتعال معاً نمضي أمهات وزوجات وبنات على المنهج الأصيل الذي يصل بنا إلى الحلول الأكيدة
لقد حررتنا قوة الإسلام
فهل فوق قوة الإسلام قوة .

* * * * *